وكانوا اوفرذ كاء واطول بقاء فعسى كل قارىء لهذا الفصل ان يتبع خطواتهم ويسير على مناهجهم فانه بذلك يصون جسمه عن السقم وكفه عن العدم

﴿ رأي غريب ﴾

لقد امعن الافرنج في تفننهم بالاستنتاج قصد الفكاهة حتى وصلوا الى العلم واستخدموا جده وسيلة لذلك كما نقلنا عنهم مرة في ادعائهم ان بعض مواليد الارض من المريخ . ومما جاء يدعيه احدهم الان قوله ان الكتاب الذي صنفه من خمس وعشرين سنة لا يصح ان ينسب اليه ذاته بعد مرور كل هذه السنوات عليه وانما هو من تصنيف رجل على غير هويته وذاتيته في الوقت الحاضر اي انه الان بعد مرور خمس وعشرين سنة عليه غير شخصه الاول تماماً ودليله على ذلك ان الانسان يتغير بعد كل ثماني سنين تغيراً تاما حتى لا يبقى منه شيء بالاطلاق مما كان قبلا وحتى ان الجواهر الفردة تزول وتأتي مكانها غيرها وبهذا يكون من صنف ذاك الكتاب في تلك المدة لا علاقة له معه بشيء على الاطلاق ويكون الثناء الذي يصيبه على مصنفه في الوقت الحاضر ثناء كاذبا غير نازل في مكانه ولا واقع على مستحقه وانما هو واقع على الشخص الذي كان منذ خمس وعشرين سنة

ثم انه اخذ يجول في هذا المضمار فقال انه اذا كان انسان بالغاً خمسين سنة مثلا وكان له عشرة اولاد فانهم لا يكونون كلهم اولاده حقيقة بسبب الاعتبار السابق لانه بعد ان ولد بكره ومرت عليه السنون التي ولد بها

من بقي قد تغير وصار اخراً غير ما كان اولا صيرورة محضة بحيث لا يصح له بوجه ان يدعي ان البكر ابنه بل له ان يدعى الخامس منهم ومن بعده لانه يكون قد بقي على شيء من كيانه حين ولدهم وجاؤا منه

ثم اخذ يستشهد على صحة دعواه باعمال الساسة ورجال الحكم فقال اننا من عشرين سنة مثلا كنا نشاهد فلاناً يدعي ان تدبير الامر على وفق كذا يكون من مصلحة البلاد حتى اذا مرت تلك السنوات صرنا نراه يقول عكس قوله تماماً مع ان الحالة لم تتغير ولكنه هو نفسه قد تغير بحيث كان منه في هذه المدة انسانان انسان ارتأى الرأي الاول وانسان عاكسه فيه والا فما هو الداعي لهذا التغير في حين لم يتغير من الحال شيء ولا تبدل من مؤثراتها مؤثر

ثم انتقل من هذا الى رجال الحكم القدماء الذين يأخذون المعاشات من الحكومات لسابق خدمهم فقال انهم يأخذون مالا حراما لانهم يأخذون مال من خدم حقيقة وقد مات في اجسادهم حتى لم يبق له فيهم ادنى اثر يحق به الارث فضلا عن انه ان صح ذلك فالمعاشات لا تورث فكانهم على رأيه يجب ان يخدموا من جديد ليكونوا اشخاصاً جدداً يحق لهم المعاش بعد الخدمة واما اخذهم المال في الوقت الحاضر عن اشخاص فقدوا كل الفقد فحرام لا يجوز. ثم انتقل بعد هذا الى المسجونين فرثى لحالتهم جداً وقال ان الوفا منهم ممن طال امد سجنهم او كان محكوماً عليهم بالسجن المؤبد يعدون مظلومين كل الظلم لان الذي ارتكب الذنوب من اشخاصهم لم يعد له ادنى اثر فيهم بل زالوا كل الزوال واصبحوا هم اشخاصاً غيرهم تماماً ولهذا يعدون مسجونين عن سواهم ومأخوذين بعد تلك المدة

الطويلة بذنوب لم يرتكبوها بذواتهم قط . ثم افضى به الامر بعد كل هذه الاستنتاجات الى ان طلب من الحكومات ان تجعل اقصى عقوبتها بالسجن ثماني سنوات ليكون العقاب واقعاً على اصحابه انفسهم وان تجعل المعاشات لحد ثمانية اعوام بعد الخدمة وان تعتبر البكر غير وارث لابيه ولا معدود منه اذا مات عنه بعد ثماني سنوات وبالجملة ان تعتبر الانسان ذا عمر لا يتجاوز تلك السنين بحيث انه اذا عاش عشر ثمانيات فيجب اعتباره عشرة اشخاص بكل ماهيتهم وهويتهم وهذا من اغرب التعليل وقريب منه القول عن النجوم الثابتة التي لا يصل نورها الى الارض الا بعد عشرين سنة مثلا فان المذكور عنها انها ليست ذاتها كما تبدو للعين بل هي ذاتها منذ عشرين سنة لانه قد يكون اصابها تغير لا ندركه العين الا بعد مرور تلك المدة

الا ان ذاك التعليل لا يخلو من فائدة لدى المجرمين لان القول بجعل اقصى عقوبتهم ثماني سنوات مما يعد رحمة وصوابا لان اخلاقهم واميالهم تكون قد تغيرت على الارجح تغيراً عظيما قد يكون مفضياً الى صدور نفع عظيم منهم لو اطلقوا والا فالقبض عليهم ثانية سهل ميسور كما انه لا بأس اذا صدرت من بعضهم ذنوب فانها تكون فدية عن الوف من امثالهم الذين لا يرتكبون جرماً بل قد يفيدون